بحث محكم | قسم الدراسات الدينية | 07 مارس 2022

انتهاء الحياة
دراسة لغوية قرآنية موضوعية

عبد الكريم الوضّاف
باحث يمني

مؤمنون بلا حدود
Mominoun Without Borders
للدراسات والأبحاث www.mominoun.com

جميع الحقوق محفوظة © 2022
All rights reserved © 2022

ملخص:

تتطرق هذه الدراسة إلى البحث عن الإجابة عن الفرق بين النفس والروح، وكذلك الفرق بين الموت والوفاة؛ وذلك بدراسة تحليلية لغوية قرآنية موضوعية لمعنى انتهاء الحياة وألفاظها؛ ببيان معنى الروح والنفس، والفرق بينهما، ثم دراسة حالة نفخ الروح في آدم وعيسى، وخُتمتْ الدراسة ببيان ماهية الموت والوفاة، ومحاولة لبيان الفرق بين هذين المصطلحين.

وقد تم في هذه الدراسة الرجوع لكتاب الله، باعتباره أول وأوثق وثيقة لغوية عربية مكتوبة، بالإضافة إلى بعض معاجم اللغة العربية الشاملة لآراء اللغويين الأولين، وكذلك المقارنة بما جاء في تفاسير كتاب الله، بأخذ تفسير قديم وتفسير معاصر لموضوع الدراسة، ولا يغيب أنه قد تم الاستفادة من دراسات بعض المفكرين المعاصرين، وبما جاء في العلوم الأثرية والطبية فيما يتعلق بعدة جوانب من هذه الدراسة.

وقد تكون هذه الدراسة خرجت ببعض النتائج الجديدة، والتي هي، في الأخير، نتائج نظرية ظنية قابلة للنقد والتعديل، فهذا هو أساس الدراسات العلمية المنهجية الأكاديمية.

مقدمة

وبالله أستعين، الذي لا إله إلا هو، الخالق الحي الذي لا يموت. الذي أرسل رُسله لإرشاد الناس في حياتهم، لأجل دنياهم وأُخراهم، وحدد لكل مخلوق أجله المسمى عنده، وقضى على المخلوقات بالفناء، فكل شيء هالك إلا وجهه.

فالفناء مكتوب على جميع المخلوقات، سواءً كانت أرضية أم سماوية، ولكن تعددت ألفاظ الفناء، في كتاب الله التنزيل الحكيم، وفي اللغة على لسان العرب، فهم يقولون، عند انتهاء حياة كائن: مات فلان أو يقولون: قُتل فلان؛ في إشارة إلى تدخل كائن في مسيرة حياة القتيل، وتارة يقولون: تُوفي فلان، وهم يقصدون موته، ولكنهم في قولهم: مات فلان، يجعلون الميت فاعلًا، بينما في قولهم: تُوفي فلان، يجعلون الفاعل مجهولًا. وهناك ألفاظ قرآنية وردتْ، أيضًا، وهي تعني انتهاء الحياة، كقولهم: هلك فلان، أو يقولون: فلانٌ قضى على فلان، وهي قريبةً من قولهم: فلان قتل فلانًا.

وعلى ذلك، فأسباب انتهاء الحياة الدنيا كثيرة، ولكل طريقة اسمها الخاص بها، لذا ارتأيتُ أن يكون عنوان هذا البحث «انتهاء الحياة».

1- معنى انتهاء الحياة وألفاظها:

إن انتهاء الحياة يعني الموت بداهةً؛ وذلك عند الكثير من خبراء «علماء» اللغة والتفسير والفقه، وغيرها من العلوم الإنسانية، وحتى الطب ونحوه من العلوم التطبيقية. إذن، فالموت هو نهاية الحياة، وبدقيق العبارة، أقول نهاية الحياة الدنيا أو نهاية الحياة الأولى؛ وذلك احترازًا من كلمة «العدم»، فقد تعني العدمية، وأن لا حياة ثانية.

وأسباب انتهاء الحياة كثيرة، وكما يقول ابن نباتة السعدي[1]:

ومنْ لمْ يَمُتْ بالسيفِ ماتَ بغيرِهِ تَنوَعتْ الأسَبَابُ وَالدَاءُ وَاحِدُ[2]

أ- أسباب الموت:

من تلك الأسباب ما يكون داخليًا من الكائن ذاته، أو ما يكون خارجا عنه، كما يأتي:

2 المصدر السابق، 2: 567

أولًا: السبب الداخلي

ويكون بتعطل أحد الأعضاء الحيوية عن العمل، إما بسبب خَلقي، كأن يكون هناك تشوه خَلقي أدى إلى الوفاة، كأن يتضخم قلب الرضيع أو وجود ثقب في القلب أو خلل في عمل الكليتين... وقد يكون السبب أتٍ فيما بعد نتيجة أمراض سببت هذا الأمر، كأن يكون السبب الملاريا أو البلهارسيا أو أن يكون السبب فيروسًا، أو بسبب سرطان؛ كنتيجة مباشرة أو غير مباشرة من المريض نفسه.

ثانيًا: السبب الثاني والأخير:

ويكون ذلك بسبب اعتداء خارجي؛ أدى إلى الموت، كالقتل بأنواعه عند الفقهاء أو رجال القانون الجنائي، وقد يكون بسبب ظروف طبيعة كانعدام الماء أو بسبب الجوع أو بسبب الأوبئة أو الكوارث الطبيعية أو التجارب الصناعية...

ويُمكن اعتبار بعض الأسباب الخارجية أسبابًا داخلية، في الأصح (إهمال المرء لصحته)، ولكننا نفترض السلامة الداخلية، وأن سب الموت الخارجي لا يكون إلا وفق الطرق المباشرة.

وبعد أن ذكرتُ أسباب الموت القياسية، دعونا نتكلم عن ماهية الموت أو الوفاة أو القتل أو نحوه، وقبل ذلك دعونا نُسلط الضوء على لفظتيّ النَّفس والرُّوح، حيث من الشائع أنه عند مفارقة الكائن عن الحياة يتم التعبير باستخدام لفظة الروح، كدليل على الموت، كأن يُقال: فارقت روحه الحياة، أو صعدت روحه إلى بارئها... وهنا يظهر أن هناك ترادف في استخدام لفظتيّ الروح والنفس، عند إطلاقها، على مفارقة الحياة، وكما يقول السهيلي[3]: ومما يتصل بمعنى الروح، وحقيقته أن تعرف: هل هي النفس أو غيرها، وقد كثرت في ذلك الأقوال واضطربت المذاهب.[4]

وهذا يتطلب البحث في هذه المسألة، كما يأتي:

3 هو: أبو القاسم وأبو زيد عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد بن أصبغ الخثعمي الأندلسي المالقي الضرير. ولد سنة 508هـ، وتُوفي سنة 581هـ. الإمام الحافظ الشيخ جلال الدين عبد الرحمن ابن أبي بكر السيوطي (ت911هـ)، طبقات الحفاظ، يقع في غلاف واحد. (الطبعة الأولى، بيروت: دار الكتب العلمية، 1403هـ/1983م)، ص481

4 أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد بن أبي الحسن الخثعمي السهيلي (ت581هـ)، الروض الأنف في تفسير السيرة النبوية لابن هشام، ومعه السيرة النبوية للإمام أبي محمد عبد الملك بن هشام المعافري، المتوفي سنة 213هـ، علق عليه ووضع حواشيه: مجدي بن منصور ابن سيد الشورى، يقع في 4 مجلدات. (الطبعة الأولى، بيروت: دار الكتب العلمية، 1418هـ/1997م)، 2: 72

ب- ماهية النفس والروح:

يقول ابن الأنباري[5]: من اللغويين مَن سوى بين النفس والروح، وقال: هما شيء واحد، إلا أن النفس مؤنثة والروح مذكرة.[6] وقالوا: وسُميت النفس نفسًا لتولد النَفَس منها، واتصاله بها، كما سموا الروح روحًا، لأن الروح موجود به.[7]

وعند تفسير الآية: **(وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ)**[8]، يخرج اللغويون والمفسرون والأصوليون منقسمين؛ فمنهم، وهم الأكثر، يذهبون إلى عدم التعرض لبيان معنى الروح في الآية، لأنها معروفة ضرورةً، ولأن الله أمسك عنها، فنُمسك.[9] وفي الجانب الآخر، يذهب آخرون إلى تفسير الروح، في هذه الآية، بمعنى؛ فقالوا: الروح: الوحي، ويُسمّى القرآن روحًا. وقال آخر: الروح: القرآن. والروح: النفس. وسُمّي الروحي روحًا؛ لأنه حياة من موت الكفر، فصار بحياته للناس كالروح الذي يحيا به جسد الإنسان.[10]

ويجمع بعضهم بين تلك الأقوال، حيث يقول: وقد تكرر ذكر الروح في القرآن والحديث، ووردت فيه على معانٍ، والغالب منها أن المراد بالروح الذي يقوم به الجسد، وتكون به الحياة، وقد أُطلق على القرآن والوحي وعلى جبريل.[11]

وهناك مسألة ينبغي ذكرها؛ ذكرها اللغويون في تفسير الآية: **(اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَى إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ)**[12]؛ فقد رُوي عن عبد الله بن عباس[13] أنه قال: لكل إنسان نفسان: إحداهما نفس العقل الذي يكون به التمييز، والأخرى نفس الروح الذي به الحياة، وقال غيره: الروح الذي به الحياة، والنفس: التي بها العقل، فإذا نام النائم؛ قبض الله نفسه، ولم يقبض روحه، ولا تُقبض الروح إلا عند الموت.[14]

وبالرجوع إلى أقوال المفسرين لهذه الآية، نجد أن المفسرين الأولين قد فسروها على أن أرواح[15] الأحياء والأموات تلتقي في المنام، فيتعارف ما شاء الله منها، فإذا أراد جميعها الرجوع إلى أجسادها، أمسك الله أرواح الأموات عنده وحبسها، وأرسل أرواح الأحياء حتى ترجع إلى أجسادها، إلى أجل مسمى، وذلك إلى انقضاء مدة حياتها.[16] في حين يذهب تفسير معاصر إلى أن الآية متعلقةً بالأنفس التي يتوفاها الله في

---

8 سورة: الإسراء، الآية: 85

14 ابن منظور، لسان العرب، ص4500، 4501؛ والزبيدي: تاج العروس، 16: 561

15 على حد قولهم، فالروح والنفس عندهم سواء.

16 أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت310هـ)، تفسير الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق: الدكتور/ عبد الله بن عبد المحسن التركي، بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات العربية والإسلامية بدار هجر، يقع في 25 مجلدًا. (بدون ذكر مكان ورقم الطبعة: هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، تأريخ الطباعة غير مدون)، 13: 314؛ وسيد قطب، في ظلال القرآن، يقع في 6 مجلدات. (الطبعة 32، القاهرة: دار الشروق، 1423هـ/2003م)، 20: 215

منامها، وإن لم تمت بعد، فالتي حان أجلها يُمسكها فلا تستيقظ، والتي لم يحن أجلها بُعد يُرسلها فتصحو إلى أن يحل أجلها المسمى.[17]

ولعمري، إن هذه الآية هي التي جعلتهم يقولون إن الروح هي النفس؛ وذلك عندما لم يتبين لهم كيف أن النائم يُتوفى بين يدي الله، حسب الآية، وهو عائش يتنفس بين أظهرنا؟

ويُمكن أن يكون الجواب في أن العقل عقلان: شعوري أو ما يُسمى واعي، وهو العقل الظاهر، ولا شعوري أو ما يُسمى لا واعي، وهو العقل الباطن، فالعقل الباطن هو الذي يحفظ المخلوقات، ويتحكم في حركاتها اللاإرادية كحركة القلب والرئتين، ونحوها، وهذا يشمل الإنسان والحيوان على السواء. وأما العقل الواعي، فهو إدراكنا حال اليقظة. فعند النوم، يغيب العقل الواعي، ويظهر العقل اللاواعي، وهو مخزون حياة الإنسان؛ وهو الذي سيُحاسب المكلف بموجبه.[18]

ت- الفرق بين الروح والنفس:

ومع ما ذكرته، آنفًا، بشأن بيان ماهية الروح، وأنهم يذهبون إلى أن الروح والنفس سواءً، نجد موقفًا مغايرًا، قديمًا، يذهب إلى وجود فرق بين تلكما الكلمتين؛ إذ يقول السهيلي: ولا خفاء فيما بينهما من الفرق في الكلام، وذلك يدل على أن بينهما فرقًا في المعنى، ويعكس هذا قوله سبحانه: **(تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ)**[19]، ولم يقل: تعلم ما في روحي، ولا أعلم ما في روحك. ولا يَحسن هذا القول، أيضًا، أن يقوله غير عيسى. ولو كانت النفس والروح اسمين لمعنىً واحد، كالليث والأسد، لصح وقوع كل واحدٍ منهما مكان صاحبه، وكذلك قوله تعالى: **(وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ)**[20]، ولا يحسن في الكلام: يقولون في أرواحهم. وقال تعالى: **(أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ)**[21]، ولم يقل: أن تقول روح... وسبيلك أن تنظر في كتاب الله، أولًا، لا إلى الأحاديث التي تُنقل مرة على اللفظ، ومرة على المعنى، وتختلف فيها ألفاظ المحدثين.[22] ثم يقول: «فتحصّل من مضمون ما ذكرنا، أن لا يُقال في النفس: هي الروح على الإطلاق، حتى تُقيّد بما تقدم، ولا يُقال في الروح: هو النفس إلا كما يُقال في المني هو الإنسان».[23]

---

17 سيد قطب، في ظلال القرآن، 5: 3055

18 لمزيد من الاطلاع حول هذا الموضوع، راجع، على سبيل المثال، الدكتور/ علي الوردي، خوارق اللاشعور أو اسرار الشخصية الناجحة، يقع في غلاف واحد، (الطبعة الثانية، لندن: دار الوراق، 1996م).

19 سورة: المائدة، الآية: 116

20 سورة: المجادلة، الآية: 8

21 سورة: الزمر، الآية: 46

22 السهيلي، الروض الأنف، 2: 72

23 المصدر السابق.

ويذهب السهيلي إلى أن سبب هذا الترادف بين الكلمتين هو: «تعلق قوم بظواهر من الأحاديث التي لا تُوجب القطع؛ لأنها نقل آحاد، وأيضًا، فإن ألفاظها محتملة للتأويل، ومجازات العرف واتساعاتها في الكلام كثيرة، فمما تعلقوا به في أن الروح هي النفس في قول بلال[24]: «أخذ بنفسي الذي أخذ بنفسك»، مع قول النبي: (**إن الله قبض أرواحنا**)[25]، والآية: (**اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ**)[26]، والمقبوض هي الأرواح، ولم يُفرّقوا بين القبض والتّوفّي، ولا بين الأخذ في قول بلال: «أخذ بنفسي الذي أخذ بنفسك»، وبين قول النبي: (**قبض أرواحنا**)».[27]

إذن، فكلام السهيلي أفاد ثلاثة جوانب مهمة:

الأول: أن لا ترادف في كتاب الله، وهذا ما يُفهم من كلامه حين قال: «ولا خفاء فيما بينهما من الفرق في الكلام، وذلك يدل على أن بينهما فرقًا في المعنى»، ثم قال: «ولو كانت النفس والروح اسمين لمعنى واحد، كالليث والأسد، لصح وقوع كل واحدٍ منهما مكان صاحبه»، إذن، فكل كلمة وُضعت في أيّ آي من آيات كتاب الله هي لمعنىً خاص بها، لا يجوز التعميم عليها.

الثاني: ضرورة الانتباه إلى سياق النص، حيث قال: «فإن ألفاظها محتملة للتأويل، ومجازات العرف واتساعاتها في الكلام كثيرة... فتحصّل من مضمون ما ذكرنا، أن لا يُقال في النفس: هي الروح على الإطلاق، حتى تُقيّد».

الثالث: أن سبب الترادف في الألفاظ قد يعود إلى الأحاديث النبوية؛ وذلك يرجع إلى نقلها بالمعنى، حيث قال: «وسبيلك أن تنظر في كتاب الله، أولًا، لا إلى الأحاديث التي تُنقل مرة على اللفظ، ومرة على المعنى، وتختلف فيها ألفاظ المحدثين».

إذن، ورغم ملاحظاتي على تفاصيل ما جاء به السهيلي، فهناك فرق جوهري بين الروح والنفس، فكليهما لفظتان متمايزتان؛ لا يصح إطلاق أحدهما على الآخر، وبيان ذلك كما يأتي:

أ- تصريفات كلمة «روح» الواردة في كتاب الله، والتي لها علاقة بكلمة الروح موضوع انتهاء الحياة:

---

24 وهو: بلال بن رَبَاح الحبشي المؤذن، وهو بلال بن حَمَامة، وهي أمّه، مات سنة 20هـ. ابن حجر، الإصابة، 1: 455، 456

25 وأصل العبارة كاملة: (لا، قبض الله عز وجل أرواحنا، وقد ردها إلينا)، الموسوعة الحديثية: مسند الإمام أحمد بن حنبل (ت241هـ)، تحقيق هذا المجلد: شعيب الأرنؤوط ومحمد نعيم العرقسوسي وإبراهيم الزبيق وعادل مرشد، يقع في 50 مجلدًا. (بيروت: مؤسسة الرسالة، تأريخ الطباعة غير مدوّن)، 28: 30، برقم 16824، برواية ذي مخمر، وقال في هامشه: إسناده حسن.

26 سورة: الزمر، الآية: 42

27 السهيلي، الروض الأنف، 2: 72

إذا ما عدنا إلى كتاب الله، نجد أن كلمة روح وتصريفاتها، التي لها علاقة بالروح محل بحثنا، لا تخرج عن الكلمات الآتية، وذلك حسب الجداول الآتية:

رَّوْحِ:

م	الكلمة	الآية
1	رَّوْحِ (مكررة)	**(وَلَا تَيْأَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ)**. [سورة: يوسف، آية: 87]
معنى الكلمة:		أي ولا تقنطوا من أن يُرَوّح الله عنّا ما نحن فيه من الحزن على يوسف وأخيه، بفرج من عنده، فيُرنيهما. يقول: لا يقنط من فرجه ورحمته، ويقطع رجاءه منه إلّا القوم الكافرون.[28]
رَوْحٌ		**(فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ)**. [سورة: الواقعة، آية: 89]
معنى الكلمة:		اختلف القُراء في قراءة **(رَوْحٌ)**، إما بفتح الراء، وهي بمعنى: له برد أو له راحة. وقراءة بضم الراء، بمعنى: روحه تخرج في ريحانه، وأولى القراءتين بالصواب هي قراءة بالفتح، ومعناه: فله الرحمة والمغفرة.، وقال بعضهم: فراحةٌ ومُستراح.[29]

رُوحِ القُدُسِ:

م	الكلمة	الآية
2	رُوحِ القُدُسِ (مكررة)	**(وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ)**. [سورة: البقرة، آية: 87، 253]. **(إِذْ أَيَّدْتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ)**. [سورة: المائدة، آية: 110]. **(قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ)**. [سورة: النحل، آية: 102].
معنى الكلمة:		روح القدس: جبريل.[30]

28 الطبري، التفسير، 13: 314؛ وسيد قطب، في ظلال القرآن، يقع في 6 مجلدات. (الطبعة 32، القاهرة: دار الشروق، 1423هـ/2003م)، 4: 2026

29 الطبري، التفسير، 22: 376، بتصرف واختصار؛ وسيد قطب، في ظلال القرآن، 5: 3472

30 الطبري، التفسير، 13: 221؛ وسيد قطب، في ظلال القرآن، 16: 89

رُوحٌ مِّنْهُ:

م	الكلمة	الآية
3	رُوحٌ مِّنْهُ (مكررة)	(**إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ**). [سورة: النساء، آية: 171]. (**أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِّنْهُ**). [سورة: المجادلة، آية: 22].
معنى الكلمة:		اختُلف في تأويل: رُوحٌ مِّنْهُ: معناه: نفخة منه، لأنه حدث عن نفخة جبريل في درع مريم بأمر الله. معناه: إنه كان إنسانًا بإحياء الله إياه بتكوينه. معناه: رحمة منه. معناه: روح من الله خلقها فصوّرها، ثم أرسلها إلى مريم، فدخلت في فيها، فصيّرها الله روح عيسى.[31]

الرُّوح:

م	الكلمة	الآية
4	بِالرُّوحِ	(**يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ**). [سورة: النحل، آية: 2].
معنى الكلمة:		يُنزّل الله ملائكته بما يَحيا به الحق، ويضمحل له الباطل.[32]
5	الرُّوحِ (مكررة)	(**وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي**). [سورة: الإسراء، آية: 85].
معنى الكلمة:		اختُلف في معنى الروح هنا: أنه جبريل. ملك من الملائكة.[33]
6	الرُّوحُ الأَمِينُ	(**نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ**). [سورة: الشعراء، آية: 193].
معنى الكلمة:		جبريل.[34]

31 الطبري، التفسير، 7: 704، 705؛ وسيد قطب، في ظلال القرآن، 24: 817.

32 الطبري، التفسير، 14: 161، 162؛ وسيد قطب، في ظلال القرآن، 3: 2160

33 الطبري، التفسير، 15: 70، 71

34 المصدر السابق، 17: 642؛ وسيد قطب، في ظلال القرآن، 4: 2617

7	يُلْقِي الرُّوحَ	(رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ). [سورة: غافر، آية: 15].
معنى الكلمة:		اختُلف في معنى الروح هنا: أنه الوحي، وقيل: القرآن والكتاب، وقيل: النبوة.[35]
8	الرُّوحُ	(تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ). [سورة: المعارج، آية: 4].
معنى الكلمة:		جبريل.[36]
9	الرُّوحُ	(يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا). [سورة: النبأ، آية: 38].
معنى الكلمة:		اختُلف في معنى الروح هنا: هو مَلَك من أعظم الملائكة خلقًا، وقيل: جبريل، وقيل: هو خلق من خلق الله في صورة بني آدم، وقيل: هم بنو آدم، وقيل: هم أرواح بني آدم، وقيل: القرآن.[37]
10	الرُّوحُ	(تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا). [سورة: القدر، آية: 4].
معنى الكلمة:		جبريل، وقيل: الوحي.[38]

رُوحًا:

م	الكلمة	الآية
11	رُوحًا	(وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا). [سورة: الشورى، آية: 52].
معنى الكلمة:		الرحمة.[39]

رُّوحِنَا:

م	الكلمة	الآية
12	رُّوحِنَا (مكررة)	(فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا). [سورة: مريم، آية: 17]. (وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا). [سورة: الأنبياء، آية: 91]. (وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا). [سورة: التحريم، آية: 12].
معنى الكلمة:		جبريل.[40]

35 الطبري، التفسير، 20: 294، 295؛ وسيد قطب، في ظلال القرآن، 4: 3073

36 الطبري، التفسير، 23: 251؛ وسيد قطب، في ظلال القرآن، 6: 3696

37 الطبري، التفسير، 24: 46، 47، 49؛ وسيد قطب، في ظلال القرآن، 6: 3808

38 الطبري، التفسير، 24: 547؛ وسيد قطب، في ظلال القرآن، 6: 3944

39 الطبري، التفسير، 20: 541؛ وسيد قطب، في ظلال القرآن، 3: 3171

40 الطبري، التفسير، 15: 485؛ وسيد قطب، في ظلال القرآن، 3: 2306

رُّوحِهِ:

م	الكلمة	الآية
13	رُّوحِهِ	(**ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ**). [سورة: السجدة، آية: 9].
معنى الكلمة:		ونفخ فيه من روحه، فصار حيًا ناطقًا.[41]

رُّوحِي:

م	الكلمة	الآية
14	رُّوحِي (مكرر)	(**فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي**). [سورة: الحجر، آية: 29؛ وسورة: ص، آية: 72].
معنى الكلمة:		ونفخت فيه من روحي، فصار بشرًا حيًا.[42]

إذن، فخلاصة ما فسّره المفسرون بشأن لفظة الروح وتصاريفها، كما يأتي:

رَّوح الله، وروح من أمره: رحمة الله.

روحٌ وريحان: الرحمة أو الراحة.

الروح التي سُئل عنها، وروح القدس، والروح الأمين، والروح التي تعرج وتتنزّل مع الملائكة، والروح التي تمثلت لمريم: جبريل.

الروح التي تقوم مع الملائكة: جبريل أو أحد الملائكة أو بنو آدم أو أرواحهم.

الروح التي تنزل بأمره: ما يُحيي الله به الحق.

الروح التي تُلقى على من يشاء من العباد: الوحي أو الكتاب والقرآن أو النبوة.

روح الله التي في آدم وعيسى: إحياء آدم وعيسى من العدم وتصييرهما إنسانيين حيين ناطقين.

مما سبق، يُمكن القول إن لفظة الروح؛ التي لها علاقة بالحياة أو بنقيض الموت - حسب ما جاء به المفسرون – هو فيما يخص آدم وعيسى.

ب- نهاية الحياة ولفظتيّ النفس والروح في كتاب الله:

41 الطبري، التفسير، 18: 601؛ وسيد قطب، في ظلال القرآن، 4: 2810

42 الطبري، التفسير، 14: 601؛ وسيد قطب، في ظلال القرآن، 3: 2138

باستعراض ورود لفظ الموت وما شابهه من ألفاظ تُودي معنى نهاية الحياة، المذكورة في كتاب الله، نجدها كما يأتي:

(**وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ**). [سورة: آل عمران. آية: 145].

(**كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ**). [سورة: آل عمران. آية: 185].

(**مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا**). [سورة: المائدة. آية: 32].

(**وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ**). [سورة: الأنعام. آية: 151؛ وسورة: الإسراء. آية: 33؛ وسورة: الأنبياء. آية: 35؛ وسورة: العنكبوت. آية: 57].

(**قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا**). [سورة: الكهف. آية: 74].

(**وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ**). [سورة: الفرقان. آية: 68].

(**وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ**). [سورة: لقمان. آية: 34].

(**وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا**). [سورة: البقرة. آية: 72].

(**وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ**). [سورة: طه. آية: 40].

(**قَالَ يَا مُوسَى أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ**). [سورة: القصص. آية: 19].

(**قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ**). [سورة: القصص. آية: 33].

(**وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا**). [سورة: المنافقون. آية: 11].

(**اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا**). [سورة: الزمر. آية: 42].

(**فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ**). [سورة: البقرة. آية: 54].

(**ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ**). [سورة: البقرة. آية: 85].

(**قُلْ فَادْرَءُوا عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ**). [سورة: آل عمران. آية: 168].

(**وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا**). [سورة: النساء. آية: 29].

(**وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ**). [سورة: النساء. آية: 66].

وبالتالي، فكل الألفاظ التي لها علاقة بمفارقة الحياة جاءت مرتبطة بلفظة «النفس»، وليس هناك علاقة أو رابط بين الموت والروح، فلم يأت ذكر ربط الموت بالروح في كتاب الله، مطلقًا.

ث- خروج الروح والنفس:

هناك مسألة تُدلّل كثيرًا على ما خرجتُ به من الفرق بين الروح والنفس، ألا وهي خروج الروح أو النفس من الجسد، فأيّهما يخرج من الجسد، وأيهما لا يخرج؟

فحسب ما ورد في كتاب الله، نجد أنه لا توجد آية تُخبرنا بأن الروح تخرج من الجسد، وإنما الآيات تتحدث، فيما إذا تحدثت عن الخروج من الجسد، فهي تتحدث عن خروج النفس، فحسب، وإليك الآيات:

جاء في الآية: (**اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَى إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ**)، فالآية تتحدث عن خروج النفس، وإن كان من طريق مفهوم النص؛ أي مفهوم الآية، فقوله: (**فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ**) وقوله: (**وَيُرْسِلُ الْأُخْرَى**) فيهما إشارة ودلالة على أن كل الأنفس جاءت، أو جيء بها، ثم بقيت أنفس، والتعبير: تم الإمساك بها، وكأنها طائرة أو نافرة، وهي التي قضى عليها الموت. وأما التي لم يحل أجلها، فتُرسَل إلى الجسد، وفي كلا الكلمتين: «أمسك» و«أرسل» دلالة على وجود حركة ذهاب وإياب، ودخول وخروج، وبالتالي، فتكون النفس هي التي تخرج من الجسد، كما دخلت في بداية الخلق.

وهناك آية أخرى أكثر وضوحًا في مسألة خروج النفس، إذ جاء في الآية: (**وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ**)[43]، يقول المفسرون: يقول الله: ولو ترى، يا محمد، حين يغمر الموت بسكراته هؤلاء الظالمين (أي المشركين) الذين يفترون على الله الكذب، والقائلين: (**مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ**)[44]، والزاعمين أنهم أوحي إليهم، ولم يوحَ إليهم بشيء، أو يزعمون بأنهم مستطيعون أن يأتوا بمثل هذا القرآن: (**سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ**)[45]، فتُعاينهم وقد غشيتهم سكرات الموت،

43 سورة: الأنعام، الآية: 93

44 سورة: الأنعام، الآية: 91

45 سورة: الأنعام، الآية: 93

ونزل بهم أمر الله، وحان فناء آجالهم، والملائكة باسطو أيديهم بالعذاب؛ يضربون وجوههم وأدبارهم... يقولون لهم: أخرجوا أنفسكم.[46]

فإن تم الاحتجاج بالآية: **(فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ)**[47]، وما بعدها، فليس في الآية دلالة مباشرة على تعلقها بالروح، بل إن تعلقها بخروج النفس لهو الأولى، في ضوء الآيات الصريحة والضمنية التي ذكرناها، آنفًا.[48]

ج- هل للنفس كتلة أو مساحة؟

قبل أن أدخل في بيان هل للنفس كتلة أو مساحة، ينبغي بيان هذين المصطلحين:

أما الكتلة Mass، فهي: كمية المادة التي يحتويها جسم ما؛ هي كتلته وفق تعريف نيوتن، وتُقاس في جملة الواحدات الدولية بالكيلوغرام.[49]

وأما المساحة Area، فهي: قياس سطح أو منطقة، واحداته المتر المربع.[50]

ومن المعلوم أن النفس مادة غير مرئية ومجردة، لا يُمكن تشخيصها، وبالتالي لا يُمكن حساب مساحتها أو حساب كتلتها، ولكن هل يُمكن حساب كتلتها ومساحتها؟

أولًا: كتلة النفس:

قام أحد الأطباء الأمريكيين، ويُدعى دنكان ماكدوغال Duncan MacDougall، بالقيام بدراسة علمية؛ نُشرت عام 1907، حيث افترض أن للأنفس أوزانا مادية، وحاول قياس الكتلة التي يفقدها الإنسان عندما تغادر نفسه الجسد، وقد قام بقياس التغيير في كتلة أجساد ستة مرضى في لحظة الموت؛ شخص واحد من الستة أشخاص فقد ثلاثة أرباع الأوقية (21.3 غرام)، بينما أجرى التجارب عينها على الكلاب، ولم يجد أي تغيير في أوزانها عند موتها. ورغم الانتقادات العلمية التي وُجهت إليه[51]، إلا أنها محاولة ظهرت،

---

46 الطبري، التفسير، 9: 408، 409، بتصرف؛ وسيد قطب، في ظلال القرآن، 2: 1148، 1149، بتصرف.

47 سورة: الواقعة، الآية: 83

48 هناك دراسة أجراها أحد الباحثين، وهو مهدي الكبيسي، ويذهب إلى أن النفس، عند الموت، تبقى في الجسد، ولا تخرج، وإنما تخبو. الموقع الرسمي للدكتور محمد شحرور/ الصفحة الحرة/ النفس والروح في المفهوم القرآني – مهدي الكبيسي. تأريخ زيارة الصفحة 2022/01/29م.

https://shahrour.org/?p=1873

49 معجم مصطلحات الفيزياء، يقع في مجلد واحد. (دمشق: مطبوعات مجمع اللغة العربية، 1436هـ/2015م)، ص282

50 المصدر السابق، ص31

51 راجع: مجلة البحوث النفسية الأمريكية، المجلد رقم 1، العدد 5، والصادرة في مايو 1907

Journal of The American Society for Psychical Research, Vol. 1 – No. 5, May, 1907 pp 237 – 275

أيضًا، في رواية دان براون[52]؛ الصادرة عام 2009، بعنوان «الرمز المفقود»، وفيها تم قياس كتلة شخص مسن يحتضر، على جهاز أشبه بالحاضنات الشفافة، وهو عبارة عن ميزان صغير فائق الدقة، وبعد لفظ المسن أنفاسه الأخيرة، لوحظ انخفاض في الأرقام المعروضة على شاشة الميزان فجأة، وجاء في الرواية: «يبدو أن ثمة مادة غير مرئية موجودة في الجسد البشري عند الموت، تلك المادة لها كتلة يُمكن قياسها، ولا تُعيقها الحواجز الفيزيائية. أفترض أنها تنتقل في بُعد لا يُمكنني إدراكه بعد».[53]

ثانيًا: مساحة النفس

كما سبق أن رأينا في مسألة محاولة قياس كتلة النفس البشرية، وهي محاولات وافتراضات، لم تتعد أن تكون نظرية قابلة للصحة والبطلان. وأما بالنسبة لمساحة النفس البشرية، فأظن أن ذلك سيكون مستبعدًا حسابه علميًا، لذا نرجع إلى ما يُشير إلى ذلك من كتاب الله، إذ جاء في الآية، في وصف الحالة النفسية للمؤمن بالله والمعاند: **(فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ)**[54]، ولستُ هنا بصدد إثبات إعجاز علمي لكتاب الله، فكتاب الله هو كتابة هداية، وليس كتابًا علميًا؛ مع عدم إنكار وجود غيبيات فيه تُظهر أنه ليس بكتاب بشري. فالآية تصف حالتين: حالة المنشرح صدره، وحالة الضائق صدره، وهي لا تبعد عما نحن بصدد الحديث عنه، فالمعلوم والمجرب أنه عندما يكون المرء سعيدًا مبتهجًا، فإنه يُحس أن نفسه واسعة ومنفتحة، أي أن مساحتها اتسعت، بينما حين يكون خائفًا، مثلًا، فإنه يشعر بأن نفسه قد انكمشت.[55] إذن، فذلك مؤشر على أن للنفس البشرية مساحة، وكلها أمور ظنية، لا يعلم بحقيقتها إلا الله.

وخلاصة الأمر:

إن غالب اللغويين لم يُفرقوا بين النفس والروح، بالنسبة للإنسان، بل جعلوهما بمعنىً واحد، وأن خروج الروح يعني مفارقة الحياة، كما يعني خروج النفس، إلا أنه تبين، من خلال البحث الموضوعي لآيات كتاب الله ولما قاله المفسرون، ما يأتي:

أولًا: أن لا رابط بين الموت والروح، وأن الآيات المتعلقة بالموت جاءت مرتبطة بالنفس.
ثانيًا: أن تفسير الروح، كمصدرية للحياة، إنما خصت آدم وعيسى.
ثالثًا: الآيات الصريحة والضمنية التي تذهب إلى أن ما يَخرجُ من الجسد هو النفس، وليست الروح.

---

52 وهو مؤلف أمريكي معاصر لقصص الخيال والإثارة.

53 دان براون، الرمز المفقود، ترجمة: زينة جابر إدريس، يقع في غلاف واحد. (الطبعة الأولى، بيروت: الدار العربية للعلوم ناشرون ومؤسسة محمد بن راشد آل مكتوم، 1431هـ/2010م)، ص374

54 سورة: الأنعام، الآية: 125

55 لمزيد من التوسع، يُمكن زيارة قناة الباحث/ أمين صبري على اليوتيوب.

2- نفخ الروح في آدم وعيسى:

أ- نفخة آدم:

في البداية، يُمكنني أن أذهب إلى القول إن لفظة الروح التي جاءت في كتاب الله، والتي لها علاقة بنفخ الروح في بدن آدم أو عيسى، والتي تم تعميمها على بقية الناس، جاءت من تعريف الرَوح، الواردة في كتاب الله وفي كلام العرب، والتي بمعنى الاستراحة والراحة، فكأن الإنسان عندما تُفارقه الحياة يكون قد استراح من أعباء الحياة، ومن الدنيا، فيقولون لقد استراح، أخذًا من كلمة الرَوح[56]، **(فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ)**. وربما يعود سبب ذلك إلى خلو التشكيل عند الناسخين، والذي يكاد يكون مستمرًا عبر ألف سنة – إن لم تكن أقل بقليل - منذ بداية مرحلة التدوين، وهذا ما يُلاحظ في المخطوطات العربية والإسلامية؛ التي يختفي معها التشكيل، ناهيك عن علامات الإعجام؟!

الأمر الآخر، أنه لو افترضنا أن الروح هي بمعنى الحياة، ألا يُقال عن بقية الحيوانات، من غير الإنسان، عند مفارقتها الحياة بالموت أو القتل أو الذبح: فارقت روحها الحياة، أو عند إفلاتها من موتٍ محقق: لها سبعة أرواح؟! والمعلوم بالضرورة بأن نفخ الروح لم يكن إلا لآدم وعيسى، خصوصًا، إذا عممناه على بقية الآدميين. إن الدخول في تفاصيل امتلاك الحيوانات غير الآدمية أنفس أو نفوس، لهي مسألة قد تدخل في مجال علم الكلام، أو ما يُسمى بعلم أصول الدين، وهذا ليس مجال بحثنا هنا.

ولنعد إلى آدم وعيسى. فبالنسبة لآدم، فمن خلال الآيات القرآنية، نجد أن الآية: **(إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ # فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ)**[57]، تُشير إلى أن هذا الكائن هو كائن حي لا محالة؛ وذلك قبل تسويته ونفخ الروح فيه[58]، فهو لم يقل: «طينًا كهيئة بشر».[59] وصيغة «خالق»، هنا، تُفيد الإحداث، أي الإيجاد من عدم، والسؤال هو: هل هذه الصيغة، في موقعها، تُفيد المضي أو المستقبل؟ ويرى بعض المفكرين المعاصرين[60] أنها تفيد المضي، أي إن الله قد خلق هذا البشر قبل الإعلام به للملائكة، وقد أراد أن يُخبرهم؛ تهيئةً لهم حتى يُتابعوا أحوال هذا المخلوق خلال مراحل التسوية.[61]

---

56 الزبيدي، تاج العروس، 6: 410

57 سورة: ص، الآيتين: 71، 72

58 لمزيد من التفصيل عن نشأة البشرية وتطورها إلى إنسان، راجع: عبد الصبور شاهين، أبي آدم: قصة الخليقة بين الأسطورة والحقيقة، يقع في غلاف واحد. (القاهرة: دار أخبار اليوم، تأريخ الطباعة غير مدون)؛ والدكتور/ محمد شحرور، الكتاب والقرآن: قراءة معاصرة، يقع في غلاف واحد. (دمشق: الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع، تأريخ الطباعة غير مدوّن)؛ وقسم الدراسات والبحوث في جمعية التجديد الثقافية الاجتماعية، الخلق الأول، كما بدأكم تعودون، يقع في غلاف واحد. (الطبعة الأولى، دمشق: دار كيوان للطباعة والنشر والتوزيع، 2009).

59 جمعية التجديد، الخلق الأول، ص32

60 وهو الدكتور/ عبد الصبور شاهين.

61 عبد الصبور شاهين: أبي آدم، ص70

وما يُؤكد وجود هذا الكائن، قبل النفخة، الآية: (**وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً**)[62]، فالجعل هو عملية التغير في الصيرورة، كقوله لإبراهيم: (**قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا**)[63]؛ إذ لم يكن إبراهيم إمامًا للناس، فأصبح إمامًا، واستعمال اسم الفاعل في قوله: (**إِنِّي جَاعِلٌ**) فيه دلالة على استمرار العلمية، كقوله: (**إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ**)، ففي مراحل الخلق المختلفة استعمل (**إِنِّي خَالِقٌ**)، وعندما قال: (**إِنِّي جَاعِلٌ**) كانت للدلالة على وجود البشر الذي تمت تسويته، وأصبح جاهزًا لتغير في الصيرورة ليُصبح خليفة الله في الأرض؛ أي لم يكن خليفة، فأصبح، ولكنه موجود ماديًا، لذا سأله الملائكة: (**أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ**)[64]. لنقارن هذا القول مع قوله: (**إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ**)، فعندما قال: (**خَالِقٌ بَشَرًا**)؛ لم يذكر احتجاج الملائكة، لأنه لم يَستو بعدُ، ولم يكن الإنسان موجودًا في شكله الجاهز لنفخ الروح، لذا أتبعها بقوله: (**فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ**)، ومع ذلك لم تقل الملائكة: (**أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ**)، ولكن عندما قال: (**إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً**) جاء الاحتجاج، وكان الاحتجاج طبقًا لمعلومات مشاهدة؛ أي إنه عندما قال: (**إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً**) كان البشر ما يزال في المملكة الحيوانية قبل الأنسنة، ولكنه قائم على رجليه، وله جهاز صوتي قادر على التنغيم المختلف، وكان تصرفه كالبهائم، أي يأكل اللحوم (**وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ**)، وما زال الإنسان، إلى اليوم، كائنًا يأكل اللحوم وله أنياب، وربما كان يأكل بعضهم بعضًا و(**يُفْسِدُ فِيهَا**)، للدلالة على التخريب غير الواعي في الغابات، كما تفعل بعض فصائل القردة من قطع أغصان الأشجار، وهنا يجب أن لا نفهم (**يُفْسِدُ فِيهَا**) على أنه سلوك لا أخلاقي؛ أي مخالفة تعليمات الله، فهذا يُسمى فسوق لا فساد، فعندما يُصبح الطعام غير صالح للأكل نقول: فسد الطعام، ولا نقول: فسق الطعام، فالفساد هو التخريب.[65]

ومما يدل على كون الإنسان ليس هو الخلق الأول، وأن نفخة الروح جاءت والكائن البشري موجود تدب فيه الحياة ما جاء في الآية: (**أَفَعَيِينَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ # وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ**)[66]، والخلق الأول هنا هم البشر، وليس الإنسان، وإلا لقال: «فلقد»؛ عاطفًا بالفاء حين قال: (**وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ**)، ليُفيد أنه يسترسل في الحديث عنهم، و(**وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ**)[67].[68]

---

62 سورة: البقرة، الآية: 30

63 سورة: البقرة، الآية: 124

64 سورة: البقرة، الآية: 30

65 شحرور، الكتاب والقرآن، ص287، 288؛ وجمعية التجديد، الخلق الأول، ص ص50، 51

66 سورة: ق، الآيتين: 15، 16

67 سورة: يس، الآية: 78

68 جمعية التجديد، الخلق الأول، ص64، 65

وما يُؤيد ما ذهبنا إليه؛ من كون الإنسان ليس بالخلق الأول، ما جاء في ملحمة الخلق البابلية[69] «إينو ما إيليش»، في اللوح السادس، حيث تقول الأسطورة إنه بعد تنظيم الكون قرر مردوخ أن يخلق الإنسان ليخدم الآلهة[70]؛ يخدمها في معابدها ويُطعمها من ذبائحه وقرابينه كي تنصرف إلى مهامها الإلهية، وترتاح من عنائها، فاستشار أباه إياه، فنصحه أن يذبح كنجو، قائد جيش تيامات، ليخلط دمه بالعظام والطين، ومن الجِبلّة يصنع الإنسان؛ أو إنسان، الإنسان المتوحش «لولو»، وجاء فيها:

عندما سمع مردوخ كلام الآلهة

تحرك قلبه ليخلق ما هو حسن

حدّث أيا بما يجول في خاطره قائلًا:

«إني جامع دمًا إني خالق عظمًا

سأخلق متوحشًا، وسيكون اسمه «الإنسان»

حقًا، سأخلق الإنسان المتوحش «لولو».[71]

فالقوة الربانية الخالقة/ مردوخ سيجمع الدم والعظام من كائن أصلي، ليُخلق من الكائن البدائي إنسانًا، ثم يطلب أن يُؤتى له بواحد من هذه الفصيلة البشرية المتوحشة، ليُقتل وحده، ومنه يصنع إنسانًا تنسل منه الإنسانية.[72]

وبالتالي، فلم تكن نفخة الروح هي نفخة الحياة، بل كانت «نفخة الأنسنة». إنها نشأة الفكر بنشأة الكلام الإنساني. إنها الربط الذهني بين الشيء وصورته؛ وذلك من خلال صيغة لغوية، حيث إن الحيوانات تربط بين الشيء وصورة الشيء بربط انعكاسي، فالكلب عندما يشم رائحة اللحم يسيل لعابه بربط انعكاسي بحت؛ أي إن هناك الشيء «اللحم» وصورة الشيء «في مخ الكلب عن طريق حاستي البصر والشم»، حيث أدى الربط الانعكاسي بينهما إلى سيلان اللعاب. وهذا الشيء موجود عند الإنسان في سلوكه الغريزي «البهيمي

69 وكذلك ملحمة الخليقة السومرية وفي ملحمة أتراخاسس البابلية وغيرهما، لمزيد من الاطلاع، انظر: جمعية التجديد، الخلق الأول.

70 هكذا جاءت وتجيء في الترجمات، رغم أني أرى أنها تستحق ترجمة غير هذه.

71 الدكتور/ وديع بشور، الميثولوجيا السورية: أساطير آرام، يقع في غلاف واحد. (الطبعة الثالثة، مكان الطبع وتأريخه غير مدوّن)، ص161، وانظر الأسطورة، أيضًا، في فراس السواح، مغامرة العقل الأولى: دراسة في الأسطورة – سوريا وبلاد الرافدين، يقع في غلاف واحد. (الطبعة 11، بلد الطبع غير مدوّن: دار الكلمة، تأريخ الطباعة غير مدوّن)، ص82

72 جمعية التجديد: الخلق الأول، ص115، 116

البحت»؛ أي إن الكلب له سمع وبصر وذوق، والإنسان، كبشر، له سمع وبصر وذوق. فماذا يزيد الإنسان عن ذلك؟[73]

إن الربط الانعكاسي عند الحيوانات يتم بدون قالب لغوي «أي بدون أسماء»، والمعلوم أن الفكر الإنساني، مهما كان بدائيًا، لا يتم بدون قالب لغوي - «صوتي»، إنه يوجد تلازم لا ينفصم بين الفكر واللغة منذ بداية الأنسنة. وأن أهل الأرض، جميعًا، تُفكر بقالب لغوي، أي أن اللغة لها وظيفتان: الأولى: هي حامل الفكر، والوظيفة الثانية: هي التواصل بين متكلم ومخاطب في صيغة خبر أو أمر ونهي أو تعجب واستفهام. فإذا نظرنا إلى الكلام الإنساني بين متكلم ومخاطب رأينا أن صيغة الخبر هي أكثر الصيغ ترددًا، تليها صيغة الأمر والنهي، تليها صيغة التعجب والاستفهام.[74]

وقد تمت مراحل نشأة الكلام الإنساني ونفخة الروح، من خلال ثلاث مراحل[75]:

المرحلة الأولى: مرحلة تقليد أصوات الحيوانات والطبيعة: وهي التي عبرت عنها الآية: (**وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا**)[76]، فقوله: (**عَلَّمَ**)، لا علاقة له بالوحي «الإلهام»، بل تمت بواسطة الحواس «السمع والبصر»، ويُقلِّد بواسطة الصوت؛ أي بواسطة السمع.

المرحلة الثانية: مرحلة آدم الثاني: وهي مرحلة فعل الأمر والتقطيع الصوتي، وقد جاء ذلك في الآية: (**قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ**)[77]، فقوله: (**يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ**)، والنبأ جاء من النبأة وهي الصوت، ومنه سُمي النبأ لأنه ينتقل من شخص لآخر، كما أن الصوت ينتقل من مكان إلى آخر، وقوله: (**بِأَسْمَائِهِمْ**)؛ أي إن واسطة النبأ هو التمييز الصوتي، لذا استعمل حرف الجر «الباء»، والباء فيها الواسطة، أي أن النبأ «الصوت» هو واسطة الدلالة على الاسم، فربط بين الصوت والاسم، وبالتالي الشيء والسمة الصوتية للشيء، وهنا نرى مرحلة الإدراك الفؤادي المشخص، وصورة الشيء عن طريق حاستيّ السمع والبصر واسم الشيء.

المرحلة الثالثة: مرحلة آدم الثالث: وهذه المرحلة تُعتبر القفزة الهائلة في نفخة الروح، كقفزة قانون ربط النقيضين بعدم التناقض، وهي قفزة التجريد، حيث إن الإدراك الفؤادي يقوم بربط الأسماء بالأشياء، كل على حدة، ربطًا قائمًا على الحواس، وعلى رأسها حاستيّ السمع والبصر. انتقل الإنسان بعدها إلى مرحلة أخرى من مراحل تطور اللغة، وبالتالي الفكر، وهي مرحلة التجريد؛ أي الانتقال من العلاقة الطبيعية بين الصوت والمدلول؛ القائمة على الحواس «السمع والبصر» إلى علاقة اصطلاحية قائمة على الاسم والشيء

---

73 شحرور، الكتاب والقرآن، ص298، 304، بتصرف واختصار.

74 المصدر السابق، 298، 299

75 المصدر السابق، 304 وما بعدها، بتصرف واختصار.

76 سورة: البقرة، الآية: 31

77 سورة: البقرة، الآية: 33

فقط؛ وهذا ما يُسمى بالتجريد. وبما أن الطبيعة المعروفة، كلها، قائمة على المشخصات، فكان الإنسان بحاجة إلى قفزة نوعية للانتقال من المشخص إلى المجرد، وبما أننا ننطلق من النظرة الرحمانية «المادية» في المعرفة الإنسانية؛ أي إن المعلومات تأتي من الخارج القائم على قوله: (**وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ**).[78]

ح- نفخة عيسى:

هناك آيتان، وردتا في كتاب الله، تتعلق بنفخ الروح في مريم ابنة عمران، والتي معناها، حسب ما قاله المفسرون، نفخ فيها، فصيّر عيسى حيًا ناطقًا[79]، وهما: (**وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ**)[80]، و(**وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ**)[81]. واستمرارًا في ما خرجتُ به من كون نفخة آدم، ليست هي نفخة الحياة، سأحاول، هنا، بمشيئة الله، تفسير معنى نفخة عيسى، بعيدًا عن تفسير الروح بمعنى الحياة.

فحيث إنه في هذا الكون، الذي نعيش به؛ الذي يسير بنظام مُحكّم؛ ما يدل على أن صانعه حكيم مُتقين، فإن القول بتفسيرات خارقة للطبيعة؛ أي خارقة للنظام لهي تُخالف نظام الكون هذا وتدبيره، بغض النظر عن مسألة آيات الرسل والأنبياء، أو كما هي مشاعها بين الناس بالمعجزات، رغم أنه لم يُشر في كتاب الله لآيات أو علامات الأنبياء والرسل باسم معجزة، وهذا ليس مجال بحثي هنا. فمن أجل تفسير علمي منطقي عقلاني، يتماشى مع نظرية نفخ الروح في آدم، والتي لا تعني نفخ الحياة، يُمكن القول بشأن عيسى مثل ذلك: فلمّا أتى أمر الله بخلق عيسى ابن مريم من غير أب، أرسل الله روحه، وهو جبريل، حسب التفسيرات القرآنية، فنفخ في مريم، فهذه النفخة إنما جاءت بعد أن حملت مريم بعيسى.

فجسم الإنسان يحتوي على (46) كروموسومًا؛ أي على (23) زوجًا من الكروموسومات، وتعني هذه الزوجية أن لكل كروموسوم شبيهًا له من الناحية الشكلية، ومن ناحية احتوائه على الصفات المختلفة، وقد لفت نظر الباحثين أن الزوج الأخير من الكروموسومات، هو زوج الكروموسوم الجنسي، يُظهر اختلافًا جليًا في الشكل، فالكروموسوم الجنسي X أطول بشكل واضح من الكروموسوم الجنسي Y، والذي يُشكل ثلث طول الكروموسوم الأنثوي X، فالكروموسوم الذكري هو نسخة متآكلة من الكروموسوم الجنسي X.

وبالتالي فهناك احتمالية أن يكون المَلك المُكلف قد قام بعلمية مسح جزئي في الكروموسوم 23 الجنسي، في بويضة مريم، فنتج عن ذلك X Y، فالكروموسوم الطويل غير الممسوح هو X، والقصير هو Y؛

78 سورة: النحل، الآية: 78

79 الطبري، التفسير، 14: 601، 18: 601

80 سورة: الأنبياء، الآية: 91

81 سورة: التحريم، الآية: 12

الذي كان X، فمُسح X جزئيًا، فأصبح Y بعد أن كان زوج الكروموسومات في البويضة هو X X. فتقول الفرضية[82]: واللافت أن تسمية المسيح كانت مِن قَبل الوحي؛ أي قبل ميلاده، مما يعني أن للاسم أسرارًا قد تتعلق بخلقِه، وبالتالي يمكن أن تسميته بالمسيح جاءت من مسح الكروموسوم X ليتحول إلى Y، فنتج مولودًا ذكرًا هو المسيح «الممسوح»، ففي حالة الاستنساخ ينتج من الخلية المذكرة ذكر، ومن المؤنثة أنثى، أما، هنا، فنتج من بويضة مريم، التي هي خلية مؤنثة، ذكر، وهو في الحقيقة ابن مريم، ومريم فقط. ويبدو أن المسح كان في بداية التبييض؛ أي قبل انقسام البويضة، ومعلوم أن البويضة في بداية التبييض تكون 46 كروموسومًا، وهنا يتبادر السؤال: لماذا ابتعدت مريم عن أهلها، بالذات وليس غيرهم من الناس؟ ولماذا اتخذت من دونهم حجابًا، وهم أهلها؟[83]

وهنا يتوضح أن نفخ الروح في مريم، إنما كانت لغرض علمي فيزيائي، وهو القيام بهندسة وراثية لبويضة مريم، وهو ما نتج عنه الجنين عيسى ابن مريم، وهذا ما كاد أن يقولها صاحب الفرضية ولكنه حام حولها. إن الهندسة الوراثية التي حصلت لعيسى ابن مريم تُشابه ما حصل من هندسة وراثية لآدم، فالمتدبر للآية: (**الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ**)[84]، فقوله: (**فَسَوَّاكَ**)، معناه انتصاب الإنسان على قدميه وتحرير اليدين من أجل ظاهرة العمل الواعي، فإذا نظرنا إلى اليدين في الإنسان، رأيناهما من أروع آلات العمل، حيث تمتلكان قدرة هائلة على المناورة في الحركات.[85]

وخلاصة الأمر:

إن آدم لم يكن الخلق الأول، وأنه تم تعديل وراثي على البشر، وتم تسوية الإنسان ليكون قائمًا على قدميه وتحرير يديه، تمهيدًا لنفخة آدم التي كانت نفخة الأنسنة؛ نفخة الفكر، والتي مر بها الإنسان على ثلاث مراحل. وأما نفخة عيسى، فكانت عبارة عن عمل علمي فيزيائي، لتحويل نتاج ما سيكون في رحم مريم إلى ولد ذكر، أي تم القيام بعملية «المسح» لأحد الكروموسومات الجنسية، ولذا سُمي بالمسيح.

82 وهي فرضية خرج بها الباحث المعاصر بسام نهاد جرار.

83 بسام جرار، حصاد النظر، يقع في غلاف واحد. (الطبعة الأولى، مكان الطبع غير مدوّن، 1429هـ/2008م)، ص46 – 48، بتصرف.

84 سورة: الانفطار، الآية: 7

85 شحرور: الكتاب والقرآن، ص286.

3- ماهية الموت والوفاة:

تتعدد الألفاظ الواردة في كتاب الله عن معنى الموت؛ منها الموت كلفظة أساسية، والقتل والهلاك والقاضية والموقوذة...، ومنها الوفاة. وسأحاول، بصورة سريعة، بيان تعريف غالب تلك الألفاظ.

خ- ماهية الموت وأخواته:

أما الموت، فهو ضد الحياة[86]، ومنه الآية: **(فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ)**[87]، وهذا أمر واضح. وأما القتل، فمعروف، وهو إذا أُصيب الكائن بضربة أو حجر أو سُم أو علة، والمنية قاتلة[88]، ويدخل تحته الانتحار. ومنه الآية: **(وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا)**[89]. والهلاك، هو: الموت.[90]، ومنه الآية: **(وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ)**[91]. والقاضية: الموت[92]، ومنه الآية: **(فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ)**[93].

أما المنخنقة، فهي: التي خنقت نفسها.[94] ومعنى الوقذ والموقوذ: الشديد المرض الذي قد أشرف على الموت[95]، وقيل: الضرب حتى استرخى وأشرف على الموت، والموقوذة: التي قُتلت بالضرب بالخشب.[96] والمتردية: وهي التي تقع من جبل أو تطيح في بئر أو تسقط من موضع مُشرف، فتموت.[97] والنطيحة، للكباش، وهو ما تناطح، فمات.[98] وما أكل السبع، فواضح، وكل ذلك في الآية: **(وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ)**[99].

---

86 ابن منظور، لسان العرب، ص4294؛ والزبيدي: تاج العروس، 5: 98

87 سورة: البقرة، الآية: 259

88 ابن منظور، لسان العرب، ص3528؛ والزبيدي: تاج العروس، 29: 229

89 سورة: النساء، الآية: 93

90 ابن منظور، لسان العرب، ص4686

91 سورة: البقرة، الآية: 195

92 ابن منظور، لسان العرب، ص3665؛ والزبيدي: تاج العروس، 38: 311

93 سورة: القصص، الآية: 15

94 ابن منظور، لسان العرب، ص1280؛ والزبيدي: تاج العروس، 27: 267

95 ابن منظور، لسان العرب، ص4889

96 الزبيدي: تاج العروس، 10: 495

97 ابن منظور، لسان العرب، ص1630؛ والزبيدي: تاج العروس، 7: 185

98 ابن منظور، لسان العرب، ص4459؛ والزبيدي: تاج العروس، 37: 143

99 سورة: المائدة، الآية: 3

د- ماهية الوفاة وأنواعها:

الوفاة: المنية، والوفاة: الموت، وتُوفي فلان وتوفاه الله؛ إذا قبض نفسه. وتوفى الميت: أي استوفى مدته التي وُفيت له وعدد أيامه وشهوره وأعوامه في الدنيا.[100]

ويُمكن تقسيم الوفاة أو لنسميها التوفية إلى نوعين:

الأول: توفية الأعمال.

والثانية: توفية الآجال والأعمار.

أما توفية الأعمال، فهي توفية داخلية – خارجية؛ بمعنى أنها تُرفع من المكلفين إلى الخالق، جاء في الآية: (**إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ**)[101]. ومن الآيات الواردة في شأن توفية الأعمال: (**وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ**)[102].

وأما توفية الآجال والأعمار، وهي محل بحثنا، فهي توفية خارجية – داخلية؛ بمعنى أنها تنزل من الله إلى العباد في توفية أعمارهم، فالله يُوفي للخلق أعمارهم أو أجلهم، ومن ذلك الآية السابقة: (**اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَى إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ**)، أي أن من انقضى أجله المسمى عند الله، فلن يعود إلى الحياة على الأرض، ومَن ما يزال لديه أجل، وذلك في علم الله، فتعود نفسه إلى جسده، ناهيك أن مسألة المنام ضرورة حياتية وشيء متكرر بشكل يومي لكل مخلوق.

- أنواع توفية «وفاة» الآجال والأعمار:

من خلال آيات كتاب الله، يُمكن تقسيم حالة مفارقة الحياة، وهي الوفاة إلى حالتين: الموت والقتل، وذلك ما فسرته الآية: (**وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ**)[103]، والآية: (**وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُزًّى لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا**)[104].

100 ابن منظور، لسان العرب، ص4886؛ والزبيدي: تاج العروس، 38: 220

101 سورة: فاطر، الآية: 10

102 سورة: الزمر، الآية: 70

103 سورة: آل عمران، الآية: 144

104 سورة: آل عمران، الآية: 156

وإذا افترضنا أن الناس سواسية في الأعمار، وأنه لا فرق بينهم[105]، وأن حالة مفارقة النفس للجسد بسبب القتل هي حالة تتم بصورة غير طبيعية، فهي خرم للأجل وللحياة، ولذلك استحق الجاني العقاب، فيكون الموت، وهو الحالة الثانية من مفارقة الحياة، يتم بصورة طبيعية، حيث إنه الله هو المتفرد بالآجال وحسابها وزياداتها، لا إنقاصها، وهنا أُشير إلى ورود أحاديث نبوية تحث على صلة الرحم كونها تُطيل العمر[106]، فبالتالي، فالله يستوفي المخلوق لانتهاء أجله أو يمد له في العمر، فقد جاء في كتاب الله أن هناك من يُستوفى أجله، وهناك من استوفي أجله ورُد أو زيد في عمره أو أجله لأسباب مختلفة، ألا ترى معي الآية: (**وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ**)[107]، والآية التي قد فصلت مراحل الحياة: (**يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ**)[108]، فقد أوضحت الآيتان أن هناك من يُستوفي عمره، وهناك من رُد، وزيد في عمره، ولكن في مقابل تمديد الأعمار، لا بد من النقصان في التمييز والإدراك (**لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا**). والمتدبر لقوله: (**وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ**) يجد سياقها خارج سياق النوم، بل فيها إشارة إلى حتمية قضائية بالموت على فئات، وأنه تم رد من كان مقررًا عليه الموت مسبقًا، فافهم ذلك.

وأما الحالة الثانية أو النوع الثاني من مفارقة الحياة، وهو القتل، فمن قُتل، فإن أجله قد خُرم، وبالتالي تتلقاه أو تتوفاه الملائكة، لا الله، فيكون مصيره أحد ثلاثة أمور:

الأول: إن كان مقتولًا، وكان ظالمًا لنفسه، وهو ما جاء في الآية: (**الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ فَأَلْقَوُا السَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ بَلَى إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ**)[109].

الثاني: إن كان مقتولًا وكان مظلومًا، ومحله في الآية: (**الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمُ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ**)[110].

---

105 أنوي تناول هذا موضوع الأعمار والقدر في مبحث مستقل، بمشيئة الله.

106 ومن ذلك، على سبيل المثال، ما رُوي أن رسول الله قال: (صلة الرحم، وحسن الخلق، وحسن الجوار، يعمرن الديار، ويزدن في الأعمار).

107 سورة: النحل، الآية: 70

108 سورة: الحج، الآية: 5

109 سورة: النحل، الآية: 28

110 سورة: النحل، الآية: 32

الثالث: إن كان قُتل في سبيل الله، فأمره حددته الآية: (**وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ**)[111]، فحالته مثالية وخاصة[112]، لا هو بالميت ولا هو بالحي الأرضي، بل هو في حالة وسطية بين الحياة الدنيا وحياة البرزخ، وهي حياة الشهداء، وقد قسّم النورسي[113] مراتب الحياة إلى خمس؛ أولها: حياتنا المقيّدة بقيود كثيرة، وأحدها حياة الشهداء.[114]

وبالتالي، فحيث إنه كان من المقرر قتل عيسى ابن مريم، ولكنهم لم يقتلوه، مصداقًا للآية: (**وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ**)[115]، وبالتالي، فهو في حكم المقتول شهيدًا، ولو لم يُقتل أو كان في حكم القتيل، وبالتالي شمله الله من ضمن الشهداء، فأكرمه وتوفاه، بصفة خاصة، كونه انتهى واستوفى دوره في هذه الحياة، جاء في الآية: (**إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا**)[116]، وسألقي مزيدًا من الضوء على محاولة عيسى ومحاولة اغتياله، ومسألة عودته في آخر الزمان في بحث مستقل، بمشيئة الله.

وخلاصة الأمر:

إن انقضاء الحياة لا يخرج عن أمرين: إما بالموت وإما بالقتل. والموت والوفاة سواء، وهي استيفاء الكائن لأجله الذي أجلّه الله، لذا يتوفاه الله، وهو يتوفى الأنفس عند منامها، فمن استوفت أجلها، لم ترجع للحياة العادية، ومن بقي لها أجل أو أراد الله أن يُمد في عمرها، أعادها إلى جسده. وأما إذا قُتل فتتوفاه الملائكة، سواءً كان ظالمًا أو مظلومًا أو شهيدًا. وقد تم منح عيسى ميزة اعتباره شهيدًا، بحيث تكفل الله باستيفاء أجله، وذلك بانتهاء دوره.

---

111 سورة: آل عمران، الآية: 169

112 أنوي، بمشيئة الله، تفصيل موضوع يتعلق بالشهداء وحالهم وعرقتهم بالملائكة في بحث مغاير؛ يتضمن هذه الجزئية.

113 هو: سعيد بن ميرزا علي النورسي، الملقب ببديع الزمان. ولد سنة 1294هـ/1877م في قرية نورس في شرق الأناضول بكردستان تركيا، وتُوفي سنة 1379هـ/1960م. إبراهيم سليم أبو حليوه، بديع الزمان النورسي وتحديات عصره، يقع في غلاف واحد. (الطبعة الأولى، بيروت: مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، 2010)، ص23، 54

114 بديع الزمان سعيد النورسي (ت1379هـ)، مجموعة المكتوبات من كليات رسائل النور، ترجمها عن التركية واعتنى بها: الملا محمد زاهد الملازكردي، يقع في مجلد واحد (الطبعة الأولى، بيروت: دار الآفاق الجديدة، 1406هـ/1986م)، ص6 و7

115 سورة: النساء، الآية: 157.

116 سورة: آل عمران، الآية: 55.

خاتمة:

بعد اكتمال هذه الدراسة عن انتهاء الحياة (دراسة لُغوية قرآنية موضوعية)، أُحببتُ أن أدلو بدلوي في بيان بعض المصطلحات القرآنية واللغوية؛ التي لها علاقة بانتهاء الحياة، تحت قاعدة ألا ترادف في اللغة العربية ولا في كتاب الله. فلكل كلمة تأريخيتها وظرفيتها، ولها معناها، وربما يتطور المعنى بعد ذلك ليأخذ عبارةً أخرى مغايرة.

وفي ختام هذه الدراسة، أستطيع القول إني حاولت جهدي، بدراسة تحليلية موضوعية، وقد خرجتُ منها بالنتائج الآتية:

النتيجة الأولى: إن غالبية اللغويين لم يُفرقوا بين النفس والروح، بالنسبة للإنسان، بل جعلوهما بمعنىً واحد، ولكنني وجدتُ أن لا رابط بين الموت والروح في آيات كتاب الله، وأن الآيات المتعلقة بالموت جاءت مرتبطة بالنفس، فحسب، ناهيك أنه لم تأت آية تدل؛ بصورة مباشرة أو غير مباشرة، على خروج الروح من الجسد، بل هناك آيات صريحة وضمنية تذهب إلى خروج النفس من الجسد. وبالتالي، فيُمكن القول إن ذلك الخلط بين الروح والنفس يرجع إلى عدة أسباب:

1- إلى تأخر عملية تدوين العلوم، وخصوصًا الأحاديث النبوية، وأنه تم نقل الأحاديث النبوية بالمعنى، فكان بعض حاملي الحديث لا يفقهون معنى ما يحملونه، ولذا أُخذ بجواز رواية الحديث بالمعنى، وهو ما سبب هذه المعضلة.

2- إن تفسير بعض الآيات المتشابهة في كتاب الله كانت تُبنى على قاعدة معرفية وثقافية للمفسر أو اللُّغوي، وبالتي يتأثر تفسيره بالمجتمع الذي يعيش فيه، والثقافة السائدة فيها، ومدى سعة واطلاع المفسر أو اللغوي، ناهيك عن التأثير الأيديولوجي للمفسر واللغوي وللتأثير السياسي للحكم.

3- إنه لغموض مسألة نفخ الروح في آدم ثم عيسى أدى إلى فهم تلك النفختين على أنهما نفخة حياة، بينما هما شيء مغاير؛ ظهر مع تقدم العلوم في عصرنا، ومع وجود باحثين ذوي ملكات فكرية متحررة؛ اتخذوا المنهج التحليلي والدراسة الموضوعية والمنهج العلمي طريقتهم وأسلوبهم.

النتيجة الثانية: إن آدم لم يكن الخلق الأول، وأنه تم تعديل وراثي على البشر، وتمت تسوية الإنسان، ليكون قائمًا على قدميه وتحرير يديه؛ تمهيدًا لنفخة آدم التي كانت نفخة الأنسنة؛ نفخة الفكر، والتي مر بها الإنسان على ثلاث مراحل. وأما نفخة عيسى، فكانت عبارة عن عمل علمي فيزيائي، لتحويل نتاج ما سيكون في رحم مريم إلى ولد ذكر؛ أي إنه تمت عملية «المسح» لأحد الكروموسومات الجنسية، ولذا سُمي عيسى ابن مريم بالمسيح.

النتيجة الثانية: إن انقضاء الحياة لا يخرج عن أمرين: إما بالموت وإما بالقتل. والموت والوفاة سواء، وهما استيفاء الكائن لأجله الذي أجله الله، لذا يتوفاه الله، وهو يتوفى الأنفس عند بلوغ أجلها، وعند منامها، ومن استوفت أجلها في المنام، لم ترجع للحياة العادية، ومن بقي لها أجل أو أراد الله أن يُمد في عمرها، أعادها إلى الجسد. وأما في حالة خرم الأجل بالقتل، فهنا أتي دور الملائكة، فهي تتوفى أنفس المقتولين، سواءً كانوا ظالمين أو مظلومين أو شهداء. وقد تم منح عيسى ميزة اعتباره شهيدًا، كونه قد حَكم عليه أعدائه بالقتل شهادة في سبيل الله، فصار في حكم الشهيد القتيل، فتكفل الله باستيفاء أجله بدلًا عن الملائكة، وذلك لانتهاء دوره في هذه الحياة؛ إذ الآجال بيد الله لا بيد غيره، والله أعلم.

فهرست المصادر والمراجع:

أولًا: المصادر والمراجع باللغة العربية:

- كتاب الله (القرآن الكريم).
- إبراهيم سليم أبو حليوه، بديع الزمان النورسي وتحديات عصره، يقع في غلاف واحد. (الطبعة الأولى، بيروت: مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، 2010).
- ابن حجر، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت852هـ)، الإصابة في تمييز الصحابة، دراسة وتحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوّض، يقع في 8 مجلدات. (الطبعة الأولى، بيروت: دار الكتب العلمية، 1415هـ/1995م).
- ابن منظور، لسان العرب، تحقيق: عبد الله علي الكبير ومحمد أحمد حسب الله وهاشم محمد الشاذلي، يقع في مجلد واحد، في 55 جزء. (القاهرة: دار المعارف، تأريخ الطباعة غير مدون).
- ابن نباتة السعدي، أبو نصر عبد العزيز بن عمر، ديوان ابن نباتة السعدي، دراسة وتحقيق: عبد الأمير مهدي حبيب الطائي، يقع في غلافين. (رسالة ماجستير من كلية الآداب – جامعة عين شمس بالقاهرة، 1974م).
- أحمد بن حنبل، الموسوعة الحديثية: مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، يقع في 50 مجلدًا. (بيروت: مؤسسة الرسالة، تأريخ الطباعة غير مدوّن).
- بسام جرار، حصاد النظر، يقع في غلاف واحد. (الطبعة الأولى، مكان الطبع غير مدوّن، 1429هـ/2008م).
- دان براون، الرمز المفقود، ترجمة: زينة جابر إدريس، يقع في غلاف واحد. (الطبعة الأولى، بيروت: الدار العربية للعلوم ناشرون ومؤسسة محمد بن راشد آل مكتوم، 1431هـ/2010م).
- الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت748هـ)، سير أعلام النبلاء، أشرف على التحقيق: شعيب الأرنؤوط، وحقق الجزء 15: إبراهيم الزيبق، يقع في 25 مجلدًا. (الطبعة الأولى، بيروت: مؤسسة الرسالة، 1403هـ/1983م).
- الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، السيد محمد مرتضى الحسيني، تحقيق: عبد الستار أحمد فراج (الكويت: وزارة الإرشاد الأنباء، 1385هـ/1965م).
- السهيلي، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد بن أبي الحسن الخثعمي (ت581هـ)، الروض الأنف في تفسير السيرة النبوية لابن هشام، ومعه السيرة النبوية للإمام أبي محمد عبد الملك بن هشام المعافري، المتوفي سنة 213هـ، علق عليه ووضع حواشيه: مجدي بن منصور بن سيد الشورى، يقع في 4 مجلدات. (الطبعة الأولى، بيروت: دار الكتب العلمية، 1418هـ/1997م).
- سيد قطب، في ظلال القرآن، يقع في 6 مجلدات. (الطبعة 32، القاهرة: دار الشروق، 1423هـ/2003م).
- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت911هـ)، طبقات الحفاظ، يقع في غلاف واحد. (الطبعة الأولى، بيروت: دار الكتب العلمية، 1403هـ/1983م).
- الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (ت310هـ)، تفسير الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق: الدكتور/ عبد الله بن عبد المحسن التركي، بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات العربية والإسلامية بدار هجر، يقع في 25 مجلدًا. (بدون ذكر مكان ورقم الطبعة: هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، تأريخ الطباعة غير مدون).
- عبد الصبور شاهين، أبي آدم: قصة الخليقة بين الأسطورة والحقيقة، يقع في غلاف واحد (القاهرة: دار أخبار اليوم، تأريخ الطباعة غير مدون).

- علي الوردي، خوارق اللاشعور أو اسرار الشخصية الناجحة، يقع في غلاف واحد، (الطبعة الثانية، لندن: دار الوراق، 1996م).
- فراس السواح، مغامرة العقل الأولى: دراسة في الأسطورة – سوريا وبلاد الرافدين، يقع في غلاف واحد. (الطبعة 11، بلد الطبع غير مدوّن: دار الكلمة، تأريخ الطباعة غير مدوّن).
- قسم الدراسات والبحوث في جمعية التجديد الثقافية الاجتماعية، الخلق الأول، كما بدأكم تعودون، يقع في غلاف واحد (الطبعة الأولى، دمشق: دار كيوان للطباعة والنشر والتوزيع، 2009).
- محمد شحرور، الكتاب والقرآن: قراءة معاصرة، يقع في غلاف واحد. (دمشق: الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع، تأريخ الطباعة غير مدوّن).
- معجم مصطلحات الفيزياء، يقع في مجلد واحد. (دمشق: مطبوعات مجمع اللغة العربية، 1436هـ/2015م).
- النورسي، بديع الزمان سعيد (ت1379هـ)، مجموعة المكتوبات من كليات رسائل النور، ترجمها عن التركية واعتنى بها: الملا محمد زاهد الملازكردي، يقع في مجلد واحد (الطبعة الأولى، بيروت: دار الآفاق الجديدة، 1406هـ/1986م).
- وديع بشور، الميثولوجيا السورية: أساطير آرام، يقع في غلاف واحد. (الطبعة الثالثة، مكان الطبع وتأريخه غير مدوّن).

ثانيًا: المصادر والمراجع باللغة الإنجليزية:

Journal of The American Society for Psychical Research, Vol. 1 – No. 5, May, 1907

ثالثًا: الانترنت:

- الموقع الرسمي للدكتور محمد شحرور/ الصفحة الحرة/ النفس والروح في المفهوم القرآني، مهدي الكبيسي. تأريخ زيارة الصفحة 2022/01/29م.

https://shahrour.org/?p=1873

MominounWithoutBorders

Mominoun

@ Mominoun_sm

مؤمنون بلا حدود
Mominoun Without Borders
للدراسات والأبحاث www.mominoun.com

info@mominoun.com
www.mominoun.com

All rights reserved © 2022

جميع الحقوق محفوظة © 2022